المحاضرة الثامنة لمادة الانتساب
الفرقة الأولى قسم التاريخ
الأدب المصري القديم

يعد الأدب المصري القديم مرآةٍ تعكس فكر الإنسان المصري، وكان في بادئ الأمر واقعياً يميل إلي التعبير الدقيق السليم، ولكن تطور الظروف غيّر من أساليبه، حتي يمكن وضع حدٍ فاصلٍ بين ألوان الأدب في مختلف العصور، مما يشير إلي ما طرأ علي البلاد من نهضةٍ أو تدهورٍ أو ثورةٍ.

1 – أدب المديح :

قدم ملوك الدولة الحديثة أشكالاً جديدة لتسجيلات المعارك تتناسب مع تأسيس الإمبراطورية، حيث تطورت النقوش الحربية خلال عصر الدولة الحديثة، ولاسيما خلال الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، فقد أصبحت النقوش طويلةً ومليئةً بالتفاصيل.

أ – قصيدة مديح تحتمس الثالث:

حدث تطور جديد في تسجيل الأحداث مع بداية عهد تحتمس الثالث، حيث ظهرت لنا النصوص المطولة التي تسجل حملاته علي جدران المعابد، وتأتي قصيدة المديح كأهم نتاجٍ فكريٍ لحروب تحتمس الثالث بما جاء فيها من مصطلحاتٍ جديدةٍ تمجد من شخص الملك من خلال خطاب المعبود أمون له، وأهم ما جاء بها:

* لقد أتيتُ لأجعلك تسحق أمراء جاهي
– لقد جعلتهم يروا جلالتك كسيد التألق
* لقد أتيتُ لأجعلك تسحق الأسيويين
لقد جعلتهم يروا جلالتك مجهزاً بأسلحتك (مستعداً دائماً للحرب)
* لقد أتيتُ لأجعلك تسحق الأرض الشرقية
– لقد جعلتهم يروا جلالتك مثل النجمة الدوارة (أي كالصاعقة)
* لقد أتيتُ لأجعلك تسحق الأرض الغربية
– لقد جعلتهم يروا جلالتك كالثور الظافر ثابت القلب ذي القرون التي لا تُقاوم

ب – ملحمة قادش:

تُعد من أطول الروايات التي تحتل مداخل كثيرٍ من المعابد، حيث سُجلت علي سبع واجهات وجدران، منها بوابة الأقصر والجداران الجنوبي والشرقي لردهة المعبد، والحائط الخارجي من الجدار الغربي لردهة أمنحتب الثالث من نفس المعبد، والجدار الخارجي لقاعة الأعمدة الكبري بمعبد الكرنك، وعلي الجدار الخارجي من البوابتين التاسعة والعاشرة من معبد الكرنك، وعلي الجدار الشمالي الغربي لمعبد رعمسيس الثاني في أبيدوس، وعلي البوابة الثامنة لمعبد الرمسيوم في طيبة، كما رسمت المعركة بتفاصيلها في الصالة الأولي من معبد أبو سمبل علي الجدار الأيمن، وأخيرًا هناك نصٌ للملحمة علي بردية اقتسمها متحف اللوفر والمتحف البريطاني، وما زالت محفوظة بهما.

تأتي ملحمة قادش كتقريرٍ أدبيٍ حقيقيٍ تُكمله بصورةٍ رائعةٍ مناظر المعركة وتقرير المعركة، وبذلك تكون خطوة ثالثة في تطور أدب المديح الذي يهدف بصفة أساسية إلي تمجيد شخص الملك وإظهار قواه الخارقة في تحقيق النصر علي الأعداء، وعلي الرغم من أن قصيدة تحتمس الثالث كانت هي الأساس لكل قصائد المديح، إلا أن هذه الملحمة اختلفت عنها.

2 – أدب القصة :

يبدأ العصر الذهبي للقصة منذ عصر الثورة الاجتماعية الأولي، حيث مرت البلاد في ذلك الوقت بأحداثٍ كثيرةٍ، ازدهر الأدب بعدها، ويجمع المؤرخون علي أن هذا العصر قدم قدرًا من الأدب يعطينا صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية في تلك الفترة، وينسب إلي ذلك العصر قصة القروي الفصيح، والتي تُعد من أشهر النماذج الأدبية التي خلفها لنا المصريون القدماء، ثم جاء عصر الدولة الوسطي وبلغ أدب القصة ذروته متمثلاً في قصة سنوهي، وهي من القصص الواقعي الذي يلقي الضوء علي الحوادث التي جرت في مطلع الأسرة الثانية عشرة، ثم تأتي قصة الملاح والجزيرة والتي صيغت بلغةٍ عذبة.

ومع بداية عصر الدولة الحديثة يصطبغ أدب القصة بالطابع الحربي تارةً وبالطابع السياسي تارةً أخري، وقد تمثل ذلك في قصة أبوفيس وسقنن رع ، وقصة الاستيلاء علي يافا وقصة ون أمون.

3 – أدب المراسلات :

ظهر اتجاه آخر في الأدب المصري القديم تمثل في تغلغل الألفاظ الأجنبية في الكتابات الأدبية، وكان السبب الرئيس فيه النشاط الحربي التوسعي لملوك الدولة الحديثة والانفتاح الثقافي بين مصر وجيرانها، الذي زاد مع استقرار المصريين في المستعمرات المصرية وخاصة في سوريا، ومع كثرة الحروب التي خاضها المصريون تغلغلت المصطلحات الأجنبية في الحياة الأدبية، حيث كانت معرفة البلاد الأجنبية وطرق الوصول إليها من أبرز أساليب التفاخر وإظهار التمكن العلمي، وقد اتضح ذلك في المراسلات.

مراسلة بين كاتبين:

تدور المناقشة بين الصديقين حول مهنة الكاتب، والتي تعد من أرفع المهن في مصر القديمة، والتي يسعي إليها كل الشباب، حتي الملوك كانوا يفتخرون بألقاب الكاتب.

وتهدف القصة إلي إعلاء مهنة الكاتب وجذب الانتباه إليها في مرحلة كان غالبية الشباب مبهورين بحياة الجندية والحروب، وشرف الانتماء لها رغبة في الحصول علي الأوسمة والنياشين، بالإضافة إلي نصيب وافر من الغنائم والأسلاب، فضلاًً عن سأمهم وتململهم من حياة الكاتب الرتيبة . من وجهة نظرهم . بالمقارنة بحيوية وعظمة حياة الجندية، وبذلك ابتعدوا عن الكتابة، مما دفع الأدباء إلي التركيز علي رفعة مهنة الكاتب وإبراز مميزاتها، وما يتحلي به صاحبها من ثقافةٍ واسعة.

وهو ما كان يتفاخر به " حوري " علي صديقه الكاتب " أمنموبي " من معرفته بعدد كبير من بلدان شمال سوريا، ويسخر من أمنموبي لضآلة معرفته عن بلاد فينيقيا، ويسأله عن أسماء الأماكن التي تقع علي الطريق الموصل إلي غزة، ويتأكد من جهله بها، وأخيراً ينصحه حوري بأن يستمع في هدوء حتي يتعلم ويستطيع التحدث عن البلاد الأجنبية.

يبدأ حوري خطابه بذكر صفاته وألقابه قائلاً " الكاتب النبيل الأعضاء، الصبور في المناقشة، والذي عندما يتفوه يستمتع الرجال بسماعه، البارع في الهيروغليفية، والذي ليس هناك شيء لا يعلمه، الفارس في شجاعته ..... وأمير معاصريه ..... حوري بن وننفر "

ثم يوجه خطابه لصاحبه قائلاً " الذي يحيي صديقه وأخيه الممتاز الكاتب الملكي وقائد الجيش المظفر ..... الذي ليس له مثيل في الكتابة، المحبوب من كل الرجال ..... الكاتب بكل أسلوب ..... أمنموبي بن مدير البيت موسي المبجل ".

وبعد حوار طويل يتفاخر حوري علي صديقه بأنه غير قادر علي حساب المئونة اللازمة لحملة عسكرية إلي فينيقيا، وتتكون البعثة من 1900 من الجنود المصريين، 520 من الشردن، 1600 من الكهك، 100 من المشوش، 880 من النحسيو(النوبيون)، ويكون الإجمالي 5000 بدون قادتهم".

4 – أدب الأسطورة :

كان أدب الأسطورة من بواكير الآداب المترابطة ذات الفكرة والحبكة، لاسيما منذ أن احتضنها رجال الدين لاتصالها بعقائدهم، واحتضنها رجال الحكم لاتصالها بذكريات أجدادهم، كما أحب المصريون تلك الأساطير لشعبيتها، ولأنها صورت لهم المعبودات في صورةٍ بشريةٍ مألوفةٍ، وكان محور تلك الأساطير الصراع بين الخير والشر، تارةً في صورة أسطورة أوزير وست، وتارةً أسطورة النزاع بين حور وست وتارةً أخري أسطورة البهتان والصدق، هذا بالإضافة إلي نوعٍ جديدٍ من الأساطير اختص به الملوك، تمثل في أساطير الشرعية الإلهية سواء بالمولد الإلهي أو بالاختيار الإلهي.

– أساطير النبوءة الإلهية :

يأتي هذا النوع من الأساطير عندما يكون الملك الحاكم يفتقد الدم الملكي الخالص، فعندئذ يلجأ إلي الكهنة ليصيغوا له أسطورةً تؤكد صلته بالإله أمون مباشرة، باعتباره الإله الرسمي للدولة، سواءً كان ذلك بطريقة المولد الإلهي في حالة حتشبسوت وأمنحتب الثالث، أو بطريقة الاختيار الإلهي كما في حالة تحتمس الثالث.

فقد ادعت حتشبسوت مولدًا إلهيًا من الإله أمون نفسه، وسجلت هذا المولد علي جدران معبد الدير البحري، حيث تبدأ المناظر من النهاية الجنوبية من بهو الأعمدة إلي اتجاه الشمال بالصف السفلي دون انقطاعٍ حتي النهاية الشمالية)، وتقول الأسطورة:

" أن الإله أمون أعلن للأرباب أنه سيهب الملكة أحمس زوج تحتمس الأول مولوداً من صلبه يعتلي العرش، وأنه قضي أن يكون المولود أنثي، وتحققت المعجزة

وجاءت حتشبسوت إلي الدنيا وقدمها أمون إلي بقية الأرباب باعتبارها وريثة عرش مصر، وعندما أصبحت شابة أعلنها والدها تحتمس الأول شريكة له في الحكم وعهد إليها بالعرش من بعده".

استخدم تحتمس الثالث الأسلوب نفسه؛ ليؤكد حقه الشرعي في تولي العرش، ولكن بطريقة الاختيار الإلهي من قبل الإله أمون أيضاً، وسجل هذا الادعاء علي جدران معبد الكرنك.

5 – الأدب التهذيبي :

يُعد الأدب التهذيبي . أو كما يسميه بعض المؤرخين أدب الحكمة والنصائح . من أرقي أنواع الأدب المصري القديم، فمن يقرأ هذه النصائح يستطيع أن يدرك ما وصل إليه المصريون القدماء من رقيٍ فكريٍ وإعلائهم للقيم الإنسانية النبيلة، وأن تحصيل العلم كان من أسمي الغايات التي سعي المصري القديم إلي تحقيقها.

وترجع أغلبية النصوص الأدبية التي عُثر عليها . حتي الآن . إلي ما قبل عصر الدولة الحديثة، وخاصةً عصر الثورة الاجتماعية الأولي وإلي عصر الدولة الوسطي، ومما لا شك فيه أن التوجه العام في عصر الدولة الحديثة إلي النشاط الحربي بدايةً من تحرير البلاد من الهكسوس والسعي وراء تأمين الحدود المصرية بتكوين خطوطٍ دفاعيةٍ أماميةٍ داخل الأراضي الأسيوية، وكل ذلك كان له أثرٌ كبيرٌ علي الحياة الأدبية وخاصةً الأدب التهذيبي.

فقد اتجه الشباب إلي الحياة العسكرية، حيث قارنوا بين حالة الدراسة الرتيبة وبين حيوية وعظمة حياة الجندية، فأهملوا الأولي وانخرطوا في سلك الحياة العسكرية، وقد كان هذا التوجه سببًا رئيسًا في إعادة كتابة النصائح التي تعلي من قيمة العلم ومن مهنة الكاتب، وإبراز مميزات مهنة الكاتب عن غيرها من المهن حتي لو اضطروا إلي ذم المهن الأخري، وهو ما كان بالفعل في نصائح خيتي بن دواوف.